الأستاذ المودودي

وشيء

من حياته وأفكاره

محمد يوسف البنوري

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ويليه

كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

تقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت حركات سياسية ودينية فى نصف هذا القرن الغابر فى آخر عهد الدولة البريطانية ما أصبح وسيلةً لطىّ بساطها عن الهند المتحدة الغير المنقسمة ، واشرأبت أنظار وتوجهت أفكار إلى إنشاء حكومة إسلامية فى البلاد، وإزالة ما أحدثته تلك الحكومة الغاشمة ، وإبادة آثارها المشئومة ، وأن يحدث بدلاً عنها نظام إسلامى للمسلمين يتخذ وسيلةً إلى رقىّ المجتمع البشرى وإلى نهضة المسلمين إلى نظام صالح ديناً وسياسةً شعباً وحكومةً .

فى مثل هذه الظروف بدأ على بسيط الهند حركة الأستاذ أبى الأعلى المودودى وتشكيل جماعته الإسلامية بإدعائه بذل الجهود لإنشاء حكومة صالحة ونظام صالح باسم " تجديد الدين وإحيائه " بأسماء حسنة جلبت الأنظار والأفكار ، وسرعان أن لبى الشعب دعوته حيث زعموا فيها شفاء تلك الغلة وملأً لذلك الفراغ الملموس ، وأخذوا يثنون على ندائه ودعوته ، فأخذ يتقدم إلى الأمام فى تقدير وثناء من بعض الأكابر وتأييد من بعض وشركة طائفة معه ، فترعرعت الحركة وتقوت وتقدمت وتضلعت .

ولكن بالأسف ظهرمن قلمه ما نبه أرباب الفراسة الإيمانية ، وأحسوا بنور قلوبهم الثاقب خطرات فى أفكاره من زيغ وانحراف وطعن على السلف من أقدم العصور إلى اليوم

كما يتفوه به ملاحدة العصر فى كل عهد بأن الإسلام فشل فى إرقاء المجتمع بسوء عمل القائمين به، ولم تكن تلك الأيام المباركة إلا سنوات قليلة معدودة، وكان حظها ضئيلاً؛ فيا سبحان الله ! دين أعلن الله سبحانه وتعالى أن يظهره على الأديان كلها ، وأنه يحفظه إلى قيام الساعة، ونادى سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه لا تزال طائفة إلى قيام الساعة قائمةً بالحق ، وإن أمته خير أمة ، وإنه لا تجتمع على ضلالة ، ومثل الأمة كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وإنه يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وما إلى ذلك مما دل عليه من آيات بينات ؛ وأقوال من سيد البشر ﷺ ساطعات لامعات تدل على بقاء الخير فى الأمة فى كل جيل ، فمن يرفع صوته بضد هذا يكذب الله ورسوله ؛ فهل مثل المودودى هو الذى يبعثه من جديد ويقوم بما لم تقم به الأمة سلفاً وخلفاً ؛ فيا للعجب !

فتنبه لمثل هذه الدعاوى العريضه أفذاذ من الأكابر وأزعجهم من بعد ما أحسنوا الظن ، وقاموا للذب عن الدين والقضاء على هذه الفكرة الخاطئة التى تدع الديار بلاقع ؛ فمن هؤلاء الأكابر حضرة المحدث بركة العصر مولانا الشيخ محمد زكريا الكاندلوى الصديقى صاحب المؤلفات البارعة فى الحديث ، الذى انقضت حياته فى العكوف على خدمة العلم تدريساً وتأليفاً ، فكتب خطاباً إلى بعض العلماء الذى غره سمته ، وطبع هذا الخطاب ورجانى كتابة تقدمة على الخطاب ؛ فلبيت تلك الدعوة المباركة وكتبت ما يأتى عليك بيانه ، والله ولى الهداية والتوفيق .

محمد يوسف البنورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلاريب أن سنة الله الأزلية قد جرت فى هذه الكائنات أن كل كمال فى الدنيا ، أو براعة فى الفن ، أوحذاقة فى صنعة من الصنائع الدنيوية من حدادة ونجارة ، أو صياغة أو دباغة ، أوحياكة ونسج أوخياطة ، وما إلى ذلك من حرف الدنيا وصنائع البشر لايتمّ النبوغ فيها إلا بالاستفادة من أربابها والتعلم من مهرة الفن ، فما ظنك بفنون من الطب والجراحة ، والهندسة والحساب ، والمنطق والفلسفة وعلوم الطبيعة ، مع أنها من مخترعات العقول الإنسانية والتجارب البشرية ؛ فإذا كانت والحال هذه فى الفنون التى اخترعها الإدراكات البشرية فما ذا يكون حال تلك الحقائق الإلهية من علوم النبوة ومعارف الرسالة وأحكام الشريعة وعلوم القرآن والسنة التى معينها لا ينضب ، وينابيعها ثرة فياضة ، اتصلت سلسلتها بوحى السماء وبعالم الغيب ، نزل بها جبرئيل الأمين على صدر النبى الأمى الذى أصبح أعلم الأولين والآخرين ، عليه صلوات الله وسلامه .

فكان الله عزوجل معلماً بالوحي الرباني الذي يقصر عنه شأو العقول والإدراكات ، وكان الأنبياء والمرسلون تلقوه متعلمين مستفيدين ، ثم فى الاستفادة والتعلم منهم يحتاج إلى القرب منهم والصحبة معهم ، واستنارة القلوب بأنوار أنفاسهم القدسية وتوجهات أرواحهم الزكية ؛ فالقرب والصحبة وتوجيه أرباب النبوة إلى قلوبهم وتعليمهم علمياً وعملياً حالاً وذوقاً كل ذلك مؤثر فى تكوين طبائعهم وإصلاح بواطنهم وظواهرهم وتزكية نفوسهم حتى يكونوا من الراسخين فى العلوم ، والمهتدين بأنوارهم الثاقبة .

فهؤلاء التلاميذ والطلبة المتعلمون يكونون من أصحاب الأنبياء ، وأصبح لقب الصاحب أوفى تعبير لكل فضل وكمال علماً وديناً ، وخلقاً وسيرةً وسريرةً فوق كل ثناء ومجد ، ويكون تأثير توجه النفس أشدَّ وأقوى ، وأسدَّ من تعبير الألفاظ وتصوير الكلمات ، فيكون أصحاب النبيين خير خلفاء للنبيين وارثين لعلومهم ومعارفهم وأنوارهم وآثارهم ، ومهما طالت صحبته وقويت نفسه يكون أشبههم بالأنبياء هدياً وهدىً ، دلاً وسمتاً ، سيرةً وسريرةً

وبالجملة : الاستغناء من التلقى والاستفادة لايستقيم ، والتعلم بالصحبة والقرب منهم هو الصراط المستقيم ، ثم إن علوم النبوة ووراثتها خلافة للنبوة فى هداية النفوس وإرشاد العباد ، فتشتدُّ عداوة إبليس اللعين القرين لكل إنسان ، وما من شك أنه

يلبس على المرأ طريق الهداية بالضلالة ما هو معروف من عداوته وتزيينه للمرأ كل ضلالة وشر، والوسوسة بتدابير دقيقة؛ فيصير الشر خيراً والخير شراً، والنفس المقارنة للمرأ أمارة بالسوء أساس كل رذيلة من أدواء القلوب من حب الجاه وانتشار الصيت والشهرة، والإعجاب بالرأى والهوى المتبع، كما وردت الإشارة إلى أدواء النفس فى حديث نبوى كريم: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنياً مؤثرةً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك يعنى بنفسك ودع عنك العوام إلخ» رواه أبو داود من حديث أبى ثعلبة الخشنى.

فهذه الأدواءالباطنة من معضلات أمراض النفوس تفتقر إزالتها إلى مجاهدات طويلة ورياضات شاقة، وإلى صحبة أرباب القلوب الزكية الطاهرة صحبةً طويلةً بإخلاص وعزيمة صادقة، وفوق كل ذلك مشيئة الله الأزلية إذا انعقدت بإصلاح تلك النفوس تتهذب وتتزكى، وإلا تاهت تلك النفوس فى مهاوى الضلال، وضلت فى صحراء الحيرة والحرمان، ومن طالع تاريخ البشر وبحث عن أذكياء العالم وجد أن كثيراً من فتن علمية بدت من جهة الفضلاء والعلماء خاضوا فى تحقيقهم وتدقيقهم وتركوا جادة جماهير الأمة؛ فشذوا فى أفكارهم وآرائهم وتجاوزوا الصواب، والإعجاب بالرأى أكبر فتنة للعالم فى هذا العالم.

فإذا كانت الحالة هذه فى العلماء المحققين أصحاب استبحار فى العلوم، وأرباب ذكاء وتوقد من العقول؛ فكيف بالذين

حرموا من التلقى من أهل الكمال ولم يجدوا من يربيهم ويرشحهم ، ولم يصادفوا من ينبههم ظناً منهم أنهم فى استغناء بمطالعة الأسفار والزبر ، وخصوصاً إذا كان معهم شئ من الذكاء ومقدرة فى البيان ؛ فهؤلاء خابوا وخسروا ودخلوا فى غمرات ، وابتلوا بهفوات وكبوات ، وأصبحوا وسيلةً لإضلال العامة وأتباعهم ، حيث يكون لهم براعة فى الإنشاء ، وإن أقلامهم ترقص فى الميادين فى هزة وهباب ، ويكون لهم مقدرة فائقة فى تحليل الأبحاث وتنقيح الأفكار ، فالعلم وإن كان قاصراً بيد أن القلم يدهش الأفكار ؛ فالعامـــة إذا شاهدوا لهم بعض النفائس فى الأبحاث والأفكار ، وقرءوا لهم ما يعجب الأنظار ، أو القدرة على تحليل المشاكل بالتعبيرات أعجبوا بهم وصاروا مغرمين بآرائهم ، ثم إذا صادفوا أقوالهم منافيـــةً للجماهير طعنوا الجماهير ووجهوا إليهم سهام المطاعن والملاعن ، ورموهم بالغباوة والعمى .

ثم لاسيما إذا قاموا أولئك المتظاهرون بالتحقيق والبراعة فى كل شئ بالطعن على الأوائل والأواخر ورميهم بقصور الإدراك والفهم ، وبتقصير عقولهم عن هذه الحقائق تحزب أتباع هؤلاء لنصرهم والثناء عليهم وجلب كل خيل ورجل لتأييدهم ؛ فيطمُّ البلاء ويشتدُّ الفتنـــة ويبلغ السيل الزبى ؛ فيهلك التابع والمتبوع ، ثم إذا انضم مع هذا كله إن كان ذلك الرجل داهيةً يرى ما وراء الأكمة ، وأولع بحب الزعامة والرئاسة ، واتخذ كتاباتـــه وأبحاثه وسيلةً للدعايـــة والنفوذ فى كل شئ ازداد الأمر غمةً ، وإذن يصدق قول الله عزوجل : « لا عاصم اليوم

من أمر الله إلا من رحم ؛ فيا رب سترك،وهذه ومضات موجزة تنبئ الناظرين عن سحب هطالة .

ومن هذا الصنف الأخير شخصية بارزة أكبر شخصية وهو الأستاذ أبو الأعلى المودودى ، برز فى هذا العصر صاحب تأليفات ومقالات شرقت وغربت ، وسارت بها الركبان إلى كل ناحية من أنحاء الأرض ، وتغلغلت فى بلاد العرب وغرت به بلاد وعباد حيث تظاهر بمظاهر من الزعامة والإمارة وادعاء أنه الرجل الوحيد فى العالم الذى وقف جهوده "لإقامة دين" و"تجديد دين" و"إحياء دين" و"إقامة حكومة صالحة" تحت ضوء القرآن والسنة ، وكان أسلوب تعبيره جذاباً وخلاباً ، وكانت جهود القوم ضد حكومة البريطانية واستيلائها على الهند ، وحدثت معارك فى مقاومة الشعب الهندى والأمة الهندية جمعاء مع الحكومة الغاشمة الظالمة البريطانية ، وكان الشعب الهندى منقسماً إلى طائفتين كبيرتين سياسيتين قد ارتفع صخبها إلى السماء ؛ ففى مثل هذه الظروف السياسية ظهر هذه الشخصية ؛ فمن الطبيعى أن ينال دعوته ونداءه إجابة من جهات شتى وتلبية لأفكاره السياسية فى هذا البحر المتلاطم ، ويا ليت لو اكتفى بهذا ولم يدخل فى غمار تفسير القرآن ، ومقالات فى السنة ، ورسائل باسم " التفهيمات " و " التنقيحات " ورسائل فى مسائل أخرى لم يكن فيه كفاءة لها ، ولا رسوخ فى علومها ، ولا أهلية له فى تلك المسائل .

وكان الملائم أن يقف جهوده فى توحيد كلمة المسلمين وإيقاظهم من غفوتهم ، وأن لايزعج المسلمين فى عقائدهم وأذواقهم ومسائلهم نظراً إلى أهمية الاتحاد وتوحيد الكلمة ، وخوفاً من التشتت والافتراق ، ويا ليت لوفعل هذا لكان زعيماً سياسياً مقبول الصيت ومسموع الصوت مستجاب القول ناجحاً ظافراً ، ويا حبذا لو كان هذا فحسب ؛ فإن لقلمه السيال وملكته فى الإنشاء باللغة الأردوية ، والمقدرة الفائقة فى حسن التعبير ، واللباقة فى صياغة الأسلوب تأثيراً فى النفوس ، وأخذاً بمجامع القلوب ، ولكن بالأسف الشديد تعرض فى كتاباته إلى النقد بالسلف الصالحين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة المجتهدين والمتكلمين من أقدم العصور إلى اليوم ، وجاء فى أبحاثه مالايستساغ ديناً وعلماً

ومن بواعث الأسف أن الشيخ المودودى وصل إلى الثانوية من التعليم المدنى ، وتلقى مبادئ الكتب العربية فى بيته ، ثم دخل معهداً بحيدر آباد فيه كان مبادئ التعليم الدينى مع شئ من التعليم المدنى ، وكان والده الكريم محامياً فترك وظيفته وأصيب بالشلل والفالج ، وبقى مريضاً نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله عز وجل ـ غفر له الله ورحمه ـ ولكن الشيخ المودودى فى حياته اضطر إلى معاشه وفى شرخ شبابه قبل إكمال الدراسة ، ومن سوء الصدفة أنه اصطحب كاتباً بارعاً فى اللغة الأردوية وكان من

كبار ملاحدة الكتاب وهو نياز فتحپوری (١) وقد تأثر إلى حد كبير من صحبته، ويقول المودودي في ما كتب في حياته ما لفظه بالأردوية :

"ڈیڑھ سال کے تجربات نے یہ سبق دیا کہ دنیا میں عزت کے ساتھ زندگی بسر کرنے کیلئے اپنے پیروں پر آپ کھڑا ہونا ضروری ہے اور معاشی استقلال کیلئے جد وجہد کے بغیر چارہ کار نہیں، فطرت نے تحریر و انشاء کا ملکہ ودیعت فرمایا تھا عام مطالعے سے اسکو اور تحریک ہوئی، اسی زمانے میں جناب نیاز فتحپوری سے دوستانہ تعلقات ہوئے اور انکی صحبت بھی وجہ تحریک بنی غرض ان تمام وجوہ سے یہ فیصلہ کیا کہ قلم ہی کو وسیلۂ معاش قرار دینا چاہئیے" اھ (٢) -

يقول : قد أثبتت التجارب في عام ونصف أن قضاء الحياة بعزة لابد لها أن يستقل المرأ بكسب لمعاشه مستغنياً عن الناس، وأن يجتهد لحياة طيبة، وإن ملكة الإنشاء والمقدرة على التعبير كانت مودعة في طبيعتي، وقد قويت هذه الملكة بالمطالعات، وقد حصلت لي الصلة و الصداقة بالأستاذ " نياز فتح بوری "

---

(١) وقد آل أمره إلى الخروج عن الدين، واستهزأ بالجنة والنار، واتفق علماء الإسلام على خروجه عن الإسلام لكفره الصريح ؛ فتاب وأناب مدةً ثم ارتدّ وأصر على كفره البواح، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) مولانا مودودی (ص - ٢ ج) اسعد گیلانی .

وصحبته قد حثت عزمى و رغبتى ، ونظراً إلى أمثال هذه الأسباب قمت بأمر فصل نهائى بأن أجعل تلك الملكة الإنشائية القلمية وسيلةً لمعيشتى اه ؛ فكشف الستر وصدع بما هو ينويه ، فتقدم إلى الأمام و رافق أخاه السيد أبا الخير المودودى فى تحرير جريدة " مدينة " فى بجنور ، ولكن الظروف السياسية قد اضطرته إلى الانعزال عنها ، و اتصل بإدارة " انجمن اعانت نظربندان اسلام " وبإدارة جريدة " تاج " الأسبوعية ، يقول : فكنت أكتب فيها إلى أن أصدرت إدارة " جمعية علماء الهند " جريدة " مسلم " تحت إشراف حضرة المفتى محمد كفاية الله والشيخ مولانا أحمد سعيد الدهلوى المغفور لهما .

ويقول الشيخ المودودى : إن من سنة ١٩١٦ م إلى ١٩٢١ ميلادية قد ضاقت بى الأرض واضطررت إلى جولات فى البلاد ، وإلى رحلات فى الأقطار وكنت فى غاية الأسف على أن لم أنتهز فرصةً لإكمال الدراسة ولم أكن أقدر على إزالة هذه البلايا ، إلى أن أقمت بدهلى أشتغل بالكتابات فى جريدة " الجمعية " التى تصدر تحت إشراف " جمعية العلماء بالهند " وكنت أختلس فرصاً لإكمال دراستى وتعلم الكتب المختلفة فى الأدب و المنطق و الحديث و التفسير ، ثم رجع الشيخ المودودي إلى " حيدر آباد دكن " وأراد أن يستقل بشئونه للمعاش ، فاشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن أصدر جريدةً شهريةً " ترجمان القرآن " سنة ١٣٥٢هـ ١٩٣٣ م ، ثم وفق لتأسيس إدارة " دار الإسلام " بمساعدة رفقائه الأربع وهم : مولانا

الشيخ محمد منظور النعمانى - وكان هو الباعث على الشيخ المودودى أولاً بإقامة هذه الإدارة - والثانى: مولانا الشيخ أبو الحسن الندوى اللكنوى ، والثالث : الشيخ مولانا أمين أحسن الإصلاحى ، والرابع : الشيخ مسعود عالم الندوى . بمعونة أحد الأثرياء فى " بتهان كوت " سنة ١٣٥٧ ﻫ ١٩٣٨ م إلى أن أسس إدارة باسم "جماعت إسلامى" (الجماعة الإسلامية) سنة ١٣٦٠ﻫ ١٩٤١ م ، لما ظهر بعض تآليفه و نشرت مقالاته بقلمه السيال وإنشائه البليغ أعجب به الناس وأخذوا يثنون على براعته وصياغته ، وظهرت كلمات الثناء والتقدير من أمثال المحقق الفاضل الشيخ مناظر أحسن الكيلانى المغفور لـه ، وإمام التاريخ الفاضل الشيخ السيد سليمان الندوى المغفور له ، والأستاذ عبد الماجد دريا بادى ، وغيرهم من المشاهير ؛ فأكب الشباب على أبحاثه واعتقدوا فضله ونبله ، واشتهر صيته ، ولكن سرعان ما تنبه أهل العلم وأرباب الفضل والكمال إلى مغامز من ثنايا تحريراتـه ومقالاته ، وإلى شذوذ فى آرائـه وأفكاره ، وتفرس أرباب القلوب الزكيـة والأفكار النقية إلى عواقب خطرة فى ما يقوله ويجتهد له بالتدابير .

فأول من قام بالرد على كتاباته المحقق الشيخ مناظر أحسن الكيلانى ؛ فكتب فى الـرد عليه مقالةً فى جريدة " صدق جديد " التى تصدر تحت إشراف عبد المـاجد دريا بادى بعنوان "الخارجية الجديدة " ثم تنبه صاحب جريدة " الصدق " فقام بالرد عليه ، ثم السيد سليمان الندوى المغفور له ، ثم شيخ العصر وشيخ الإسلام الشيخ السيد حسين أحمد المدنى شيخ الحديث فى

دارالعلوم بديوبند رحمه الله ، واستقال اثنان عن الإمارة من أمرائه الأربع من رفقائه الأربع بعد ستة أشهر - فيما أتذكر - وهما الشيخ النعمانى والشيخ أبو الحسن اللكنوى ، والثالث منهم انزوى بعد برهة من الدهر من بعد ما رأى شيئاً ظهر من عقيدته لا يستطاع وهو الشيخ الإصلاحى ، والرابع قد توفى قبل برهة من الزمان سامحه الله بفضله .

وبالجملة : كان الأساس أنه لم يتلق العلوم الشرعية من أهلها ، ولم يتقن العلوم العربية من أصلها ، ولم يستفد من صحبة أرباب الكمال الراسخين فى العلوم ، تلقى شيئاً من المبادئ وتقدم إلى الأمام بذكائه ومطالعاته ، وكان يختلس فرصة بين حين وآخر للتلقى ، ثم كان الضغث على الإبالة وفاة والده واحتياجه إلى معيشته وقضاء أبان فتوته فى جولات وأسفار ، وخدمات فى الجرائد والمجلات ، فبقى فى البين ، وهو لا يجيد اللغة الإنجليزية كتابة وقراءة وخطابة إلا فهماً بمطالعته حيث لم تتم الدراسة ، وكل ما ترجم من تآليفه إنما هو ترجمة من الآخرين كما هو لا يجيد اللغة العربية لاخطابة ولا كتابة ولا قراءة ما عدا فهم ، وكل ما ظهر من تآليفه بالعربية فهو مترجم من الأردوية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوى وتلاميذه ، وكل رسائله بالعربية من هذا القبيل وإن كان مكتوباً عليها " تأليف المودودى " دعاية وادعاء ، وظن القوم وخصوصاً علماء بلاد العرب والسعودية أنه نفسه ألفه بالعربية الفصحى بالأسلوب الأدبى الرائع المتين ، فأنى له

التناوش من مكان بعيد ، ومرةً فى دمشق ألتى مقالته فى اللغــة الأردوية، وأمروا الأستاذ أبا الحسن الندوى بترجمته إلى العربية .

هـذه نبذة يسيرة من حياته ، وهو زعيم سياسى قبل كل شئ ، كاتب قدير باللغة الأردوية ، له قلم سيال استفاد كثيراً من مشاهير أهل الإنشاء والكتابة ، وأسلوبه فى الإنشاء كان متأثراً من أولئك الأدباء أرباب الأقلام أول أمره ، ثم انتهى إلى أسلوب خاص جيد ، وله ملكـة فى تجزئة الأبحاث و تحليل الأفكار ، ألف عدة تأليفات احتوت أبحاثاً رائعةً بيد أن قلمه زاغ وطغى ؛ فجاءت فيها أفكار زائغـة قرعت الأسماع وأدهشت الأفـكار ؛ فكان فى أكابر علماء الأمة شيخ العصرمو لانا السيد حسين أحمد المدنى أول من تفطن و تفرس العواقب الوخيمـة الخطرة قبل كل أحد فى آرائـه الزائغة ، ثم قام غير واحد من العلماء على الرد على أفكاره ومعتقداته ، ولكن كانت هذه الردود لأجل عدم إجادة الأسلوب أو عدم استيفاء البحث أو اختلط فيها الحابل بالنابل فلم يتميزهناك الأهم من غير الأهم فلم تقع من العامة موضع القبول ، ولكن الردود لا تزال مستمرةً بين حين وآخر ، و سكتُّ أنا مدةً طويلــةً نحو ثلث القرن وطالما تجرعنا غصصاً حينما يظهر شئ من هفواته الزائغة .

ولم تمض علىّ ساعة واحدة فى الموافقة على ما زاغ من تفكيره بيد أنى آثرت السكوت لبعض المصالح الدينية حيث إن كتاباتــه كانت تنفع الجيل الجديد ، والناشئـــة الحديثة التى

كانت وصلت إلى الإلحاد أو كادت ، وكانت أوقع شئ فى كبح شكيمتهم وإلجامهم ، ثم من أعضاء جماعته وأركان إدارته بدت أشياء نافعة للمسلمين ، فعلى الرغم من عدم موافقتى مع آرائه آثرت السكوت ولم أحب أن أجرحه جرحاً ينحرف الجيل الجديد ويتنفر ، ولكن من عدة أعوام كانت الوجوه متجاذبةً فى النقد والبحث وإبداء زيغه وضلاله إلى أن طال السكوت ووصلت الحال إلى أن السكوت عن الإظهار يكون ذنباً لايغفر وجريمةً لاتنكر ، وقد حان أن أنبه القوم بعد السبر والنخل لأفكاره وآرائه بما يقتضى الحق منا بإحقاق الحق وإبطال الباطل من غير مواربة ومداهنة ، فإن الفريضة قد حقت على ذمة الأمة من صيانة سياج الدين عن كل إلحاد وتحريف ؛ والمسئولية على أكتافها تستدعى الفراغ عن هذه الوظيفة .

ولاشك أن فى تأليفاتــه بعض الفوائد من تسديد الجيل الجديد ، وإن تحرير المقاصد بأسلوبه المؤثر كان نافعاً من هذه الناحية ، بيد أن البلية قد طمت ، والأمر قد تفاقم ، واتسع الخرق ، وأدركنا أن الإثم أكبر من النفع ، والضرر أشدُّ من الفائدة ، والشر أغلب من الخير ، وكم كنت أتمنى أن يقوم بهذا الأمر من هو أحق به وأهله ، ومن عرفه الناس وسارت بفضله الركبان ، وتآليفه قد شرقت وغربت ، ويكون قيام مثله للذب عن الدين أنفع وأنجع وقدماً قيل فى المثل السائر : أعط القوس باريها ، وهما رجلان أعلم الناس بدخائله ، وأقرب لتلبية القوم على ندائها ؛ فالمسئولية على أكتافهما كان أكثر من كل أحد ، وبكل الأسف أقول : قد انتظرت

قيامها برهة من الدهر طويلة ولكن خاب الرجاء وانقطع الأمل وحق لى أن أتمثل بأبيات صحابى جليل :

خليلى غضا ساعة وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا خير فى حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فاضطررنا إلى القيام بهذا الأمر، وتحتم علينا هذا الفرض، حيث إن محبة الإيمان وما يقتضيه الإيمان أشد وأقوى من كل محبة، ومن محبة رجل أرداه قلمه وتفكيره فى مهاو بعيدة عن الحق، والذب عن الدين أعنى وأهم من كل شئ، والكلام كان شاقاً علىّ، والحديث عن النقد عليه كان عزيزاً علىّ، وأنا أدرى أنى عسى أن يكون نفسى دريئة للمطاعن، وهدفاً لكل ملام، وغرضاً للسهام، ولا سيا من الذين غرهم سمته، ويظنون أن شخصية المودودى شخصية فذة قام بخدمة لاتبارى ولا تجارى، مثل أعضاء " رابطة العالم الإسلامى " ومشايخ نجد والرياض بالمملكة العربية السعودية، وكثير من الناس فى البلاد العربية أصبحوا مغرمين به حباً للإسلام وخدمته.

وأنا أدرى أن علماء المملكة العربية السعودية لوعلموا ما فى تأليفاته بالأردوية من الطامات، والبعد عن الحق، والطعن

على الصحابـة ، والحط عن الخليفـة الراشد سيدنا عثمان ، والتحريف فى مصطلحات الشريعة وآيات القرآن ، والازدراء بالسلف الصالحين من الأولين والآخرين ، لو عرفوا ذلك لكانوا أول الناس براءة من إجلاله وتوقيره ، وأول الناس إنكاراً على عقائده حيث عرفناهم منقادين للحق بكل صراحة من غير مراوغة ومواربة ، وأشد الناس شكيمة عن كبح جماح الضلال والزيغ ، وأعمل الناس بالسنة ، وأترك الناس للمنكرات والبدع ، وأنا أدرى أنه غرهم سمته ، وحسبوا بادعائه ودعايته أنه الرجل الوحيد فى باكستان الداعى إلى إحياء الدين وتجديده ، وأنه القائم بالجهود إلى إقامة حكومة صالحة فى باكستان ، وأنه الرجل المظلوم فى هذه البلاد ، قاسى آلاماً للدين ، وله مفاخر لايدانيه فيها أحد ، ولا خبرة لهؤلاء بما فى رسائله من طامات وخرافات حيث لم تترجم هذه الأشياء إلى العربية ولم تصل إليهم ، وإنما ترجم من كتبه وأبحاثه ما جعله مقرباً لديهم ومحترماً عندهم ، كما أنه ليس لهم علم بما فى باطنـه من حب الزعامـة والرئاسة وما فى طبيعته من الكبر ، والغيب لايعلمه إلا الله ، ويوشك أن لو علموا لتبرءوا كل البراءة كما جربنا من سجاياهم الفطرية الجنوح إلى الحق فى معرض الخصام والرغبة إلى الصواب .

وكم رأينا رجالا كانوا مقربين لديهم بعلومهم وبأقلامهم ثم لما ظهر منهم بعدهم عن الصواب وغلوهم فى بعض الأمور ، وخروجهم عن الجادة القويمة تبرءوا منهم فجزاهم الله خيراً ،

وذلك مثل القصيمى صاحب "الصراع" والناصر الألبانى مدرس جامعة المدينة .

فالمرجو منهم أن يعودوا نظرةً فى المودودى ، ويفكروا فى تلك الآراء الطائشة الخارجة عن الدين ، والله يقول الحق ويهدى السبيل ، والله يشهد أنى قمت بهذا الأمر ابتغاءً لوجه الله تعالى بتوفيقه لا حباً للثناء والتقدير ، ولا خوفاً من الملام والازدراء والتحقير ، وأتمثل بقول سيدنا خبيب رضى الله عنه :

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

وكما قال أبوالعلاء المعرى فى لزوم ما لا يلزم :

ونرجو من الله الثواب مجازياً   ولـه علينا فى القديم تسلف

وفضيلة المحدث الكبير مولانا الشيخ محمد زكريا الملقب بشيخ الحديث قبل أكثر من عشرين سنةً كتب خطاباً إلى بعض علماء مدرسته وهو الشيخ محمد زكريا القدوسى لما جنح إلى آراء الشيخ المودودى وتأثر بأفكاره ، كتب إليه كتاباً ينبهه على زيغ وضلال نصيحةً له وإرشاداً ، وقد ألف أيضاً جزءاً مستقلاً جمع فيه آراءه البعيدة عن الصواب ، وبالأسف أنه لم يطبع وطبع هذا الخطاب بالأردوية وقد ترجمه إلى اللغة العربية مع تخريج أحاديثه أخونا فى الله فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق اسكندر الهزاروى الباكستانى ؛ فنقدم إلى الأمة هذا الخطاب المطبوع المترجم المشير إلى شئ من أفكاره وما ينتج من زيغ وضلال ، والكتاب بين

أيدى الناظرين أمام القارئين لاحاجة إلى نقل شئ منه ؛ وإنما أقدم للناظرين عدة نماذج من زيغه المبين، وقد دعت الحال إلى أن أنادى على رءوس الأشهاد أن الرجل زائغ ، ضال ، مضل ، فى كتبه ورسائله طامات، منها : ما يوجب الفسق، ومنها : ما يوجب الابتداع فى الدين ، ومنها: ما يوجب الإلحاد ، ومنها : ما يوجب ما أسكت عنه ، وفى بعضها دلالة على جهله بالدين وغباوته على اليقين ، وتضارب وتهافت فى بياناته وكتاباته ، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا ؛ فهذا الطعن جهود السلف الصالحين والمؤاخذة عليهم يدل على إعجاب فى رأيه ما لايتحمل ، وكبر له فى سجيته ما لا يستساغ ، وسنفرد كتاباً خاصاً فى الموضوع جامعاً لأفكاره الزائغة بكل تفصيل ، وهذه التقدمة لاتحتمل غير عدة نماذج ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

شئ من أفكاره

الله ، والرب ، والعبادة ، والدين فى نظره

١ - يقول المودودى فى مقدمة كتابه " قرآن كى چار بنيادى اصطلاحين " - أى أربعة مصطلحات القرآن الأساسية - ماترجمته إلى العربية : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، أربعة مصطلحات أساسية للقرآن ، من عرفها عرف القرآن ومن لم يعرفها لم يعرف القرآن ، ولم يعرف التوحيد ، ولم يعرف الشرك ولم يعرف أن العبادة لله وحده ؛ فمن خفيت عليه هذه المصطلحات خفى عليه فهم القرآن وإن كان مؤمناً ، وعلى الرغم من كونه مؤمناً يكون ناقص العقيدة والعمل (١) ثم يدعى : وقد وقع تغير فى معانى هذه المصطلحات عن فهمها فى عهد النزول ، وانحازت هذه المعانى الوسيعة إلى معان ضيقة محدودة مبهمة ، وذلك لأمرين :

١- لقلة ذوق العربية . ٢- ولكون المسلمين ولدوا فى الإسلام ؛ فلم يعرفوا تلك المعانى المستعملة فى الكفار فى عهد نزول القرآن فخفيت على أئمة اللغة وأرباب التفسير تلك المصطلحات بمعانيها المستعملة فى عهد النزول ، وفهم هؤلاء ما كان يفهمه المسلمون . (٢)

---

(١) ص - ١٠ (٢) ص - ١٢